# أثر التوحيد على الفرد والمجتمع

إعـــــداد


**د/ محمد بحر محمد حسن**

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

قسم الدراسات الإسلامية

جامعة الملك فيصل

# تمهيد

يمكن أن نرجع سبب فساد الحياة البشرية كلها الى الكفر بالله سبحانه وتعالى وسبب صلاح هذه الحياة هو الإيمان بالله عز وجل، ولذا قال تعالى ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) ﴾

[طه ١٢٤:١٢٣]

والإنسان في هذه الحياة وهو على سبيلين، فإما ذكر الله واتبع هداه وإما نسيانه والضلال.

تهدف هذه الدراسة إلى بيان معنى التوحيد على أساس أن التوحيد هو دين الفطرة التي خلق بها الله الإنسان وهي الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وقد بينت في هذه الدراسة ثمرة التوحيد والتمسك به وكيف يقاوم الإنسان الذي اتبع طريق التوحيد أفكار التيارات المنحرفة حتى ينشأ في جو صحي معافى، ثم وضحنا كيف أن جميع المخلوقات فطرت على توحيده وتقديسه وتنزيهه.

يمكننا أن نعرف التوحيد لغة بأنه من الوحدة: الانفراد. تقول رأيته وحده وهو منصوب عند أهل الكوفة على الظرف وعند أهل البصرة على المصدر في كل حال.

التوحيد في الاصطلاح من مصدر وحد يوحد توحيدا، أي جعله واحدا، وسمي دين الإسلام توحيدا لأن مبناه على إن الله واحدا في ملكه وأفعاله لا شريك له وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له، وواحد في ألوهيته وعبادته لا ند له.

فالتوحيد هو الذي فطر الله عليه الخليقة منذ أن خلق أبونا آدم، ثم تلا ذلك ما للتوحيد من أثر في حياة الفرد والجماعة. المجتمع في اللغة هو مصطلح مشتق من الفعل جمع، وهي عكس كلمة فرق، كما أنها مشتقة على وزن مفتعل، وتعني مكان الاجتماع، والمعنى الذي يقصد بهذه الكلمة هو جماعة من الناس.

# مُقَدِّمَة

عرف الإنسان طريق سعادته، فالتزمه، ولم يحد عنه، وطريق شقائه فاجتنبه،وتوضيحا لهذه المنزلة السامية وخدمة لهذا الموضوع فقد وقع اختياري على موضوع التوحيد، وأثره على حياة الفرد في الواقع المعاصر.

**أولاً: أسباب اختيار الموضوع وأهميته:**

الرغبة في معرفة التوحيد وأثره على حياة الفرد في الواقع المعاصر.

أهمية معرفة ثمرات الايمان بالتوحيد.

**ثانياً: هدف الدارسة :**

التعرف على فطرية التوحيد و جمع آثاره حتى يستفيد منها المجتمع.

**ثالثاً: منهج البحث :**

إن المنهج الذى اتبعته هو المنهج الاستقرائي التحليلي.

**رابعاً: هيكل البحث :**

قسم البحث إلى ثلاثة مباحث، وخاتمة وفهارس، حيث جاء المبحث الأول التعريف بالتوحيد، والمبحث الثاني التوحيد دين الفطرة، والمبحث الثالث بعنوان أثر التوحيد على الفرد والمجتمع، وقمت بوضع خاتمة البحث وتضم النتائج والتوصيات نهاية البحث قائمة بأهم أسماء المراجع والكتب.

## المبحث الأول

### التعريف بالتوحيد

عرفه في اللغة صاحب الصحاح[١] في اللغة والعلوم فقال: وحد – الوحدة: الانفراد. تقول رأيته وحده وهو منصوب عند أهل الكوفة على الظرف وعند أهل البصرة على المصدر في كل حال.

ولا يضاف إلا في قولهم: فلان نسيج وحده وهو مدح وجحيش وحده وعُيير وحده وهما ذم. والواحد أول العدد والجمع وحدان وأحدان.

قال الغراء: يقال أنتم حيّ واحدٌ وحيّ وأحدان كما يقال: شرذمة قليلون وأنشد للمكيت فضم قواصي الأحياء منهم فقد رجعوا الحي واحدينا

ويقال وحْده كما يقال ثناه وثلثه. ورجل وحدٌ ووحِد ووحيد، أي منفرد. وتوحد برأيه تفرد به.

وتوحده الله بعصمته، أي عصمة ولم يكله إلى غيره وأوحدت الشاة فهي موحِد أي وضعت واحدا مثل افزت. وفلان واحد دهره، أي لا نظير له، وفلان لا واحد له. وأوحده الله: جعله واحد زمانه. وفلان أوحد أهل زمانه والجمع أحدان، وأصله وحدان يقال لست في هذا الأمر بأوحد، ولا يقال للأنثى وحداء. وتقول أعط كل واحد منهم على حِدة، أي على حياله والهاء عوض عن الواو ودخلوا مَوحد موحد، أي فردي. وقولهم: أحاد ووُحاد ومَوحد غير مصروفات والميحاد من الواحد كالمعشار[٢].

وقال الشيخ محمد جمال الدين القاسمي[٣]: (فالواحد لفظ مشترك يستعمل على ستة أوجه:

ما كان واحدا في الجنس أو في النوع لقولنا: (الإنسان والفرس واحد في الجنس) (وزيد وعمرو واحد في النوع).

ما كان واحدا بالاتصال، أما من حيث الخلقة كقولك شخص واحد وإما من حيث الصناعة كقولك (حرفة واحدة).

ما كان واحدا لعدم نظيره، إما في الخلقة كقولك (الشمس واحدة) وإما في دعوى الفضيلة كقولك (فلان واحد دهره) وكقولك (نسيج وحده).

ما كان واحدا لامتناع التجزي فيه إما لصغره كالهباء وإما لصلابته كالماس.

للمبدأ إما لمبدأ العدد: كقولك واحد اثنين، وإما لمبدأ الخط كقولك النقطة الواحدة، والواحدة في كلها عارضة.

وإذا وصف الله تعالى بالواحد فمعناه هو الذي لا يصح عليه التجزي ولا التكثير لصعوبة هذه الوحدة، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الزمر: ٤٥]

والواحد المفرد ويوصف به غير الله كقول الشاعر (على مستأنس وحد)، واحد مطلقا لا يوصف به غير الله تعالى[٤].

فالواحد هو الذي لا يتجزأ ولا يثني ولا يقبل الانقسام ولا نظير له، ونستطيع أن ندرك أن هذه المادة (وحد) تدور حول انفراد الشيء بذاته أو صفاته أو بأفعاله وعدم وجود نظير له، وإذا عدى بالتضعيف وحّد الشيء توحيدا كان معناه إما جعله واحدا أو اعتقده واحدا، قال تعالى حكاية عن المشركين: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥]

فتوحيد الله معناه اعتقاده أنه إله واحد لا شريك له ونفى المثيل والنظير عنه والتوجه إليه وحده بالعبادة.

**ثانياً: المعنى والاصطلاح:**

كلمة التوحيد قد تطلق ويراد بها المعنى المصدري، وقد تطلق ويراد بها الفن المدون المسمى بهذا الاسم[٥].

وعرفه العلامة الشيخ سليمان بن عبد الله[٦] فقال: (التوحيد مصدر وحد يوحد توحيدا، أي جعله واحدا، وسمي دين الإسلام توحيدا لأن مبناه على إن الله واحدا في ملكه وأفعاله لا شريك له وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له، وواحد في ألوهيته وعبادته لا ند له)[٧].

وعرفه الشيخ خالد محمد علي[٨] (فتوحيد الله معناه اعتقاد أنه إله واحد لا شريك له، نفى المثل والنظير عنه والتوجيه إليه وحده وبالعبادة وإذا قيل: الله واحد أو أحد، كان معنى ذلك انفراده بماله من ذات وصفات وعدم مشاركة غيره فيها فهو واحد في الهيئة فلا إله غيره وواحد في ربوبيته فلا رب سواه وواحد في كل ما ثبت له من صفات الكمال التي لا تنبغي إلا له، قال في القاموس: التوحيد إيمان بالله وحده، أي: تصديقا بما جاء به النبي ﷺ من الخبر الدال على أن الله تعالى واحد في ألوهيته لا شريك له[٩].

قال ابن القيم: أصل العبادة محبة الله بل إفراده بالمحبة وأن يكون الحب كله لله فلا يجب معه سواه، وإنما يجب لأجله وفيه أن قاعدة الإسلام الأساسية هي التوحيد، القائمة على الاعتقاد بوجود الله الذي لا يتغير بتغير الزمان والمكان، وهو في هذا يبدو مختلفا عن عقائد كثيرة، ومن هنا كان عجز المعارضين له، عجزا في الفهم أساسا وقد جرت محاولات ضخمة لنقض مفهوم التوحيد في الإسلام وذاعت دعوات كثيرة حملتها رياح التغريب في محاولة من دعاتها لإحلالها مكان الإسلام من نفوس المسلمين غير أن هذه الدعوات فشلت وهذه السنان المسمومة المصوبة قد ردت إلى أصحابها.

وفي هذا يقول العلامة محمد فريد وجدي: إذا كانت أمة لا تنجح فيها دعوة دينية فهي الأمة الإسلامية لأن دينها أجمع الأديان لمعتقدات البشر منقحة مهذبة تتفق مع العقل والعلم معا فهم يؤمنون بجميع رسل الله وأمروا ألا يفرقوا بين أحد منهم ويؤمنون بالكتب كلها ويخدمونها مع احترامهم بجميع الكتب فإنه يتعذر على أكبر قوة في الأرض أن تحولهم عن دينهم.

لقد تفضل الله سبحانه وتعالى على عباده فأكرمهم ونعمهم وخلقهم في أحسن تقويم كما أنعم عليهم بصفات الخير والكمال وفضلهم على باقي مخلوقاته.

فسبحان فاطر السموات والأرض الذي فطر الناس على عبادته وهيأهم لتحمل أمانة التوحيد الذي هو رأس المرء كله وأهم واجب وأقدس عمل يشرف به الإنسان في عالم الوجود ولا يشك عاقل في أن عقيدة التوحيد هي الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها وأن هذه الفطرة إذا استقامت ولم تفسد بعوامل الهوى والتقليد والمعصية فإنها تكون قوة موجهة للنفس إلى الترقي في مدارج الكمال حافزة لها على التحلي بخصال الخير كلها والتنزه من رذائل الأخلاق ومكروه الأعمال.

فعقيدة التوحيد إذا صحت كانت مركز إشعاع يضيء جوانب النفس فيطهرها من الأوهام والخرافات وينزهها عن الملكات السيئة فتتخلص بتلك الطهارة من الاختلاق والوقوع في أسر الجهل ومسقط الخرافة كما يرتفع شأن الإنسان وتسمو قيمته بما يصير إليه من الكرامة بحيث لا يخضع لأحد إلا لخالق السموات والأرض وقاهر الناس أجمعين.

يقول الشيخ محمد عبده رحمه الله في إعلاء كلمة التوحيد لشأن الفرد: تجلت بذلك للإنسان نفسه حرة كريمة وأطلت إرادته من القيود التي كانت تعقدها بإرادة غيره سواء كانت إرادة بشرية ظن أنها شبيهة من الإرادة الإلهية. أو أنها هي كإرادة الرؤساء المسيطرين أو إرادة موهومة اخترعها الخيال كما يظن في القبور والأحجار والأشجار والكواكب نحوها وافتكت عزيمته من أسر الوسطاء الشفعاء والمتكهنة والعرفاء وزعماء السيطرة على الأسرار ومنتحلي حق الولاية على أعمال العبد فيما بينه وبين الله الزاعمون أنهم واسطة النجاة وبأيديهم الإشقاء والإسعاد وبالجملة فقد اعتق روحه من العبودية للمحتالين والدجالين وصار الإنسان بالتوحيد عبدا منه خاصة حرا من العبودية لكل ما سواه فكان له من الحق ما للحر على الحر، لا على الحق ولا وضيع ولا سافل ولا رفيع ولا تفاوت بين الناس إلا بتفاوت أعمالهم ولا تفاضل إلا بتفاضل في عقولهم ومعارفهم ولا يقربهم من الله إلا طهارة العقل من دنس الوهم وخلوص العمل من العوج والرياء.

التوحيد توقيفي فلا يثبت إلا بدليل من الشارع ولا مسرح فيه للرأي والاجتهاد ومن ثم فإن مصادر التوحيد مقصورة على ما جاء في الكتاب والسنة، لأنه لا أحد أعلم بالله وما يجب له وما ينزه عنه من الله ولا أحد بعد الله أعلم بالله من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا كان منهج السلف ومن تبعهم في تلقي التوحيد مقصورا على الكتاب والسنة.

قال الإمام الشافعي[١٠] عليه رحمة الله (آمنت بالله، وبما جاء عن الله وعلى مراد الله، وآمنت برسول الله ﷺ وبما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم)[١١].

وقد وضح الشيخ محمد جمال الدين القاسمي مصدر التوحيد فقال:

أولاً: تقديم نصوص الكتاب الكريم والسنة النبوية على العقل فما فهمه العقل من المحكمات فهو المطلوب المفروض، وما لم يفهمه من المتشابه فالتسليم إلى عالمه سبحانه وتعالى هي المطلوب المفروض.

ثانياً: رفض التأويل الكلامي لآيات الصفات، لأن التأويل عند المتكلمين يقضي باتخاذ العقل أصلا في الفهم والتأويل والتفسير مقدما على الشرع فإذا ظهر تعارض بين المنقول والمعقول قدموا المعقول وهذا عكس من كان عليه السلف الذين احتكموا إلى الآيات والأحاديث مكتفين بها فطوعوا المفاهيم العقلية لها فجعلوا العقل تابعا للنص، لا العكس.

**ثالثاً:** الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الثابتة للآيات القرآنية طريقة خاصة في الاستدلال منها حث الإنسان على النظر في ملكوت السموات والأرض وحضه على كشف أسرار المخلوقات كما قال تعالى

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾

[آل عمران: ١٩٠]

**رابعاً:** إتباع الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين، فهم القدوة الفاضلة لأفراد الأمة قال عبد الله بن مسعود مخاطبا التابعين (من كان متأسيا فليتأسى بأصحاب محمد فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا وأقواهم هديا وأحسنهم خلالا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسم وإقامة دينه فأعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم) [١٢] قال تعالى

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾

[إبراهيم ٣٤: ٣٢]

**خامساً:** أصبح البيت في الغالب خاليا من التوجيه السليم وقد قال النبي ﷺ كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه.

**سادساً:** إحجام وسائل التعليم والإعلام في غالب العالم الإسلامي عن أداء مهمتها فقد أصبحت مناهج التعليم لا تولي جانب الدين اهتمامًا كبيرًا أو لا تهتم به أصلا، وأصبحت وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة في الغالب أداة تدمير وانحراف أو تعنى بأشياء مادية وترفيهية ولا تهتم بما يقوم الخلاق **ويزرع** التوحيد ويقاوم التيارات المنحرفة حتى ينشأ جيل أعزل أمام جيوش الإلحاد ولا يدان له بمقاومتها [١٣].

ومن سبل التوقي من هذا الانحراف الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ لتلقي الاعتقاد الصحيح منهما كما كان السلف الصالح يستمدون عقيدتهم منهما.

## المبحث الثاني

## التوحيد دين الفطرة ( تسليم الفطرة لدين التوحيد)

إن الله عز وجل فطر جميع المخلوقات على توحيده وتقديسه وتنزيهه، (إن التوحيد مصدر وحد يوحد توحيدا، أي جعله واحدا وسمي دين الإسلام توحيدا، لأن مبناه على أن الله واحدا في ملكه وأفعاله لا شريك له وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له وواحد في ألوهيته وعبادته لا ند له)

إن سائر المخلوقات من جماد أو ناطق أو صامت إلا وهو يقوم بتوحيد الله عز وجل كما ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤]

يقول بن كثير [١٤] في هذه الآية (تقدسه السموات السبع والأرض ومن فيهن أي من المخلوقات وتنزهه وتعظمه وتبجله وتكبره عما يقول هؤلاء المشركون وتشهد له بالوحدانية في ربوبيته وألوهيته ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد) [١٥].

فإن السماوات العالية بما فيها أجرام وكواكب ونجوم وشمس وقمر وملائكة والأرض ما فيها من جبال وبحار وشجر ودواب وحيوان إنها لتسجد لخالقها وتعبده وتقدسه تعالى كما قال ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨]

يقول بن كثير في هذه الآية (يخبر تعالى أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له، فإنه يسجد لعظمته كل شيء طوعا وكرها وسجود كل شيء مما يختص به، أي من الملائكة في أقطار السماوات والحيوانات في جميع الجهات من الإنس والجن والدواب والطير، وما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع لله ساجدا حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعه وإما الجبال والشجر فسجودهما يفيء ظلالهما عن اليمين والشمائل) [١٦] وفي الصحيح [١٧] (عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ (أتدري أين تذهب

هذه الشمس؟ قلت: الله ورسوله أعلم فقال: فإنها تذهب فتسجد تحت العرش، ثم تستأمر فيوشك أن يقال لها أرجعي من حيث جئت) [١٨].

وكذا الذي رواه مسلم في صحيحه[١٩] (عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا قرأ ابن آدم السجدة اعتزل الشيطان يبكي ويقول: يا ويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار) [٢٠].

فإن الطيور تقدس ربها وتوحده وتعبده وتصلي له كما أخبر عنها خالقها سبحانه وتعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور: ٤١]

ويقول الحافظ بن كثير في هذه الآية (أي في حال طيرانها تسبح ربها وتعبده بتسبيح ألهمها وأرشدها إليه وهو يعلم ما هي فاعلة) [٢١].

فإن التوحيد هو الذي فطر الله عليه الخليقة منذ أن خلق أبينا آدم عليه السلام ونحن في ظهر أبينا آدم وأشهدنا ربنا على ربوبيته فأذعنا وأقررنا واعترفنا بأنه هو ربنا وخالقنا ورازقنا كما قص علينا ذلك سبحانه وتعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف ١٧٢: ١٧٣]

يقول بن كثير عليه رحمة الله (يخبر تعالى أنه استخرج ذرية آدم من أصلابهم شاهدين على أن ربهم ومليكهم وأنه لا إله إلا هو فطرهم على ذلك وجبلهم عليه) [٢٢].

قال تعالى ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠]

وعند البخاري (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة، وفي رواية على هذه الملة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تولد بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء) [٢٣].

وكذلك عند مسلم عن عياض بن حمار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى (إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم) [٢٤].

وإنما الغاية التي من أجلها خلق الله الإنس والجان وأوجدهما إنما هي لعبادته وتوحيده كما قال تعالى:﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[المؤمنون:١١٥]

وقال جل جلاله : ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة:٣٦] و قال أيضا : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]

إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي لا لاحتياجي إليهم، قال ابن عباس (إلا ليعبدون) أي ليقروا بعبادتي طوعا أو كرها، قال بن جريج: (إلا ليعرفون) [٢٥].

وبعد أن هبط أبينا آدم وأمنا حواء وتكاثرا فعاشت ذريتهم على دين الفطرة فترة من الزمان ما يقارب العشرة قرون ثم بدلت البشرية دين التوحيد بالشرك فقد عانت البشرية أزمات مختلفة ورزئت بمحن ونكسات متعددة وكان من أشدها انتشار الشرك وهيمنة البدع والخرافات فتعثرت الخطى وتفرقت السبل الجائرة الحائدة عن الحق، وكان من نتيجة ذلك أن استسلم الناس لسلطان الجهل والخرافة.

وفي هذا الجو المظلم ابتعث الله صفوة مختارة من خلقه الذين حملوا دعوة الحق إلى عباده لإنقاذهم من أوحال الجهل والشرك والضلال، فامتثل الأنبياء والمرسلون لأمر ربهم وشرعوا في تبليغ رسالات السماء إلى أهل الأرض فدعوا الناس لعبادة الله الواحد الأحد ونبذوا ما سواه من معبودات، ونتيجة ذلك فقد احتدم الصراع بين دعاة الحق وأنصار الباطل وتحطمت الأوثان وتهاوت الأصنام وانخزل الشرك وأهله وانتصر الحق ودعاته[٢٦]. وكانت هي بداية رسالات السماء إلى أهل الأرض عندما غيروا دين التوحيد فأرسل الله إليهم أول رسول، وهو نوح عليه السلام عندما كان قومه

يعبدون الأصنام المتمثلة في صور رجال صالحين ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا، وهي أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن أنصبوا على مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا أهلك أولئك ونسخ العلم عبدت(٢٧).

وقد بين القرآن أن أول رسول أرسل إلى أهل الأرض بدعوة التوحيد هو نوح عليه السلام قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩]

لم يلق نبي من قومه الأذى مثل نوح إلا نبي قتل، وإنما سمي نوح لكثرة ما ناح على نفسه، وقد كان بين آدم إلى زمن نوح عشرة قرون كلهم على الإسلام، وكان أول ما عبدة الأصنام أن قوما صالحين ماتوا فبنى قومهم عليهم مسجد وصوروا صورة أولئك فيها ليتذكروا حالهم وعبادتهم فيتشبهوا بهم، فلما طال الزمان جعلوا أجسادا على تلك الصور فلما تمادى الزمان عبدوا تلك الأصنام(٢٨). ولهذا أرسل الله نوحا فاستخدم معهم جميع الوسائل الدعوية في إقناعهم كما أخبر سبحانه وتعالى: "﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩﴾ [نوح ٥: ٩]

## المبحث الثالث

## ثـمرات التوحيد للفرد و المجتمع

لا يشك عاقل في إن عقيدة التوحيد هي الفطرة الإنسانية التي فطر الناس عليها، وإن هذه الفطرة إذا استقامت ولم تفسد بعوامل الهوى والتقليد والعصبية فإنها تكون قوة موجهة للنفس إلى الترقي في مدارج الكمال حافزة لها على التحلي بخصال الخير كلها والتنزه من رذائل الأخلاق ومكروه العمال[٢٩].

فإن من حقق التوحيد له الأمن التام في الدنيا والآخرة والهداية والتوفيق والثبات على الصراط المستقيم قال تعالى :﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]

الأمن من المخاوف والعذاب والشقاء، والهداية إلى الصراط المستقيم، فإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم مطلقا، ولا شرك ولا معاصي حصل لهم الأمن التام والهداية التامة، وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده ولكنهم يعملون السيئات حصل لهم أصل الهداية وأصل الأمن وإن لم يحصل لهم كمالها، ومفهوم الآية إن الذين لم يحصل لهم الأمران، لم يحصل لهم هداية ولا أمن بل حظهم الضلال والشقاء[٣٠]. أي هؤلاء الذين أخلصوا العبادة للّه وحده لا شريك له ولم يشركوا به شيئا هم الآمنون يوم القيامة المهتدون في الدنيا والآخرة[٣١]. والذي شق عليهم – الصحابة – أنهم ظنوا أن الظلم المشروط عدمه هو ظلم العبد لنفسه، وأنه لا أمن لا اهتداء إلا لمن لم يظلم نفسه فبين لهم النبي صلى اللّه عليه وسلم ما دلهم على إن الشرك ظلم في كتاب اللّه فلا يحصل الأمن والاهتداء كما كان من أهل الاصطفاء[٣٢].

فإن الأمة إذا حققت التوحيد لأغدق اللّه عليها بركات السماء وأخرج ثمار الأرض وجعله مبارك،قال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦]

التي أرسلنا إليها رسلنا آمنوا بالرسل المرسلين وتركوا ما صمموا عليه من الكفر ولم يصروا على ما فعلوا من القبائح ليسرنا لهم خير المساء والأرض كما يحصل التيسير للأبواب المغلقة فتح أبوابها والمراد بخير السماء المطر وخير الأرض

النبات وسائر الخيرات ولكن كذبوا بالأنبياء والآيات ولم يؤمنوا ولا اتقوا العذاب[٣٣].

فإن من حقق التوحيد سعد في الدنيا بالمعيشة الرغدة والحياة الكريمة الطيبة. قال جل جلاله ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧] هذا وعد من الله تعالى لمن يعمل صالحا وهو العمل المتابع كتاب الله وسنة نبيه من ذكر أو أنثى من ابن آدم وقلبه مؤمن بالله ورسوله وإن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله بأن يحيه حياة طيبة في الدنيا وأن يجزه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة والحياة الطيبة تشتمل وجود الراحة من أي جهة كانت[٣٤]. قال تعالى ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤ ﴾ [قريش ٣: ٤]

أي ليوحدوه ويخلصوا له العبادة فيكون رغد الرزق والأمن من المخاوف من أكبر النعم الدنيوية الموجبة لشكر الله تعالى[٣٥]

فإن من حقق التوحيد استخلفه الله في الأرض ومكن له دينه وبدل حاله من الخوف إلى الأمن قال تعالى ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥] ليجعلنهم فيها خلفاء يتصرفون فيها تصرف الملوك في الممالك، وأن يجعل الله الدين ثابتا مقررا، ويوسع لهم في البلاد ويظهر دينهم وهو الإسلام على جميع الأديان. يجعل لهم ما كانوا فيه من الخوف من الأعداء أمنا بحيث لا يخشون إلا الله ولا يرجون غيره، وقد كان المسلمون قبل وبعدها بقليل في خوف شديد من المشركين لا يخرجون إلا في السلاح ولا يمسون ويصبحون إلا على الترقب بنزول المضرة بهم من الكفار، ثم صاروا في غاية الأمن والدعة أزال الله لهم شياطين المشركين وفتح عليهم البلاد ومهد لهم في الأرض ومكنهم منها بعد أن حققوا التوحيد[٣٦].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٥] ويحتمل المراد الاستخلاف في الأرض وأن الصالحين يمكن الله لهم في الأرض ويوليهم عليها .

ومن حقق التوحيد ومات عليه وارتكب من المعاصي فإنه لا يخلد في النار لحديث أنس عن النبي ﷺ قال: (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير) (٣٧).

ومن حقق التوحيد دخل الجنة فقد قال النبي ﷺ لمعاذ: من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة. قال أفلا أبشر الناس؟ قال: لا، أخاف أن يتكلوا) (٣٨).

ومن حقق التوحيد نال شفاعة النبي ﷺ (عن أبي هريرة أنه قال: قلت: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله: لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أو منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه) (٣٩).

من ثمرات التوحيد كثرة الرزق و الحياة الرغدة:

قال تعالى ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح١٠:١٢]

يقول الحافظ ابن كثير عليه رحمة الله (أي أرجعوا إليه وأرجعوا عما أنتم فيه وتوبوا إليه من قريب فإنه من تاب إليه تاب عليه، ولو كانت ذنوبه مهما كانت في الكفر والشرك ولهذا قال ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾ [نوح:١٠-١١] أي متواصلة الأمطار، ولهذا تستحب قراءة هذه السورة في صلاة الاستسقاء وهكذا روى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه صعد المنبر ليستسقي فلم يزد على الاستسقاء وقراءة الآيات في الاستغفار ومنها هذه الآية ثم قال لقد طلبت الغيث بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر. قال ابن عباس وغيره يتبع بعضه بعضا ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح:١٢] أي إذا تبتم على الله واستغفرتموه وأطعمتموه كثر الرزق عليكم أسقاكم من بركات وأنبت لكم من بركات الأرض وأنبت لكم الزرع وأدر لكم

الفرع وأمدكم بأموال وبنين أي أعطاكم الأموال والأولاد وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار وخللها بالأنهار الجارية هذا مقام الدعوة بالترغيب)[٤٠].

قال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٦]

يقول الحافظ ابن كثير عليه رحمة الله : وقد ذكر بن حاتم عند قوله (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل) حديث علقمة، عن صفوان بن عمرو، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: "يوشك أن يرفع العلم". فقال زياد بن لبيد: يا رسول الله، وكيف يرفع العلم، وقد قرأنا القرآن وعلمناه أبناءنا؟ فقال (ثكلتك أمك يا ابن لبيد إن كنت لأراك من أفقه أهل المدينة أو ليست التوراة والإنجيل بأيدي اليهود والنصارى، فما أغنى عنهم حين تركوا أمر الله ثم قرأ قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٦] وقال تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]

يقول الإمام السعدي عليه رحمة الله (أي يزول قلقها وإضرابها وتحضرها أفراحها ولذاتها (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) أي حقيق بها وحري أن لا تطمئن لشيء سوى ذكره فإنه لا شيء ألذ للقلوب ولا أشهى ولا أحلى من محبة خالقها والأنس به ومعرفته وعلى قدر معرفتها بالله ومحبتها له يكون ذكرها له هذا على القول بأن ذكر الله ذكر العبد لربه من تسبيح وتهليل وغير ذلك. وقيل المراد بذكر الله كتابه الذي أنزله ذكرى للمؤمنين فعلى هذا معنى طمأنينة القلوب بذكر الله أنها حين تعرف معاني القرآن وأحكامه تطمئن لها فإنها تدل على الحق المبين المؤيد بالأدلة والبراهين وبذلك تطمئن القلوب فإنها لا تطمئن إلا باليقين والعلم وذلك في كتاب الله مضمون على أتم الوجوه وأكملها وأما ما سواه من الكتب التي لا ترجع إليه فلا تطمئن بها بل لا تزال قلقة من تعارض في الأدلة وتضاد الأحكام[٤١].

يقول الأشقر (الذين آمنوا أي أنهم هم الذين عداهم الله وأنابوا إليه)، (وتطمئن قلوبهم بذكر الله) أي تسكن وتستأنس بذكر الله سبحانه بألسنتهم كتلاوة القرآن والتسبيح والتحميد والتكبير والتوحيد أو بسماع ذلك من غيرهم (ألا بذكر

الله) وحده دون غيره (تطمئن القلوب) والنظر في مخلوقات الله سبحانه وبدائع صنعه وإن كان يفيد طمأنينة في الجملة وكذلك النظر في المعجزات، فليس إفادتها للطمأنينة كإفادة ذكر الله) ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

**من ثمرات التوحيد ( النجاة)**

لما دعا نوح قومه إلى التوحيد وما آمن معه إلا قليل فأغرقهم الله وأنجا نوح ومن معه من المؤمنين في الفلك المشحون، قال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا عَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٦٤]

قال تعالى: ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [هود: ٤٨] قال تعالى ﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴾ [الشعراء: ١١٩]

قال السعدي عليه رحمة الله أي السفينة التي أمر الله نوحا عليه السلام بصنعها وأوحى إليه أن يحمل كل صنف من الحيوانات زوجين اثنين وأهله ومن آمن معه فحملهم فيها ونجاهم الله بها(٤٢).

وهذا إمام الموحدين خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام لما دعا قومه للوحدانية وقام بتكسير الأصنام فأرادوا به كيدا فجعلهم الله الأسفلين وقذفوا إبراهيم إمام التوحيد في النار فنجاه الله عز وجل ، قال تعالى :﴿ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء: ٦٩]

قال الحافظ ابن كثير عليه رحمة الله (فجمعوا حطبا كثيرا جدا قال السعدي: حتى إذا كانت المرأة تمرض فتنذر إن عوفيت أن تتحمل حطبا لحريق إبراهيم ثم جعلوه في جوبة من الأرض وأضرموها نارا فكان لها شرر عظيم ولهب مرتفع لم توقد نارا قط مثلها، وجعلوا إبراهيم عليه السلام في كفة المنجنيق بإشارة رجل من أعراب فارس من الأكراد، فلما ألقوه قال: حسبي الله ونعم الوكيل، قال لما ألقي إبراهيم جعل خازن المطر يقول متى أؤمر بالمطر فأرسله؟ قال: فكان أمر الله

أسرع من أمره قال الله (يا نارُ كُوني بردا وسلاما على إبراهيم) قال: لم يبقِ نار في الأرض إلا طفئت ولم تحرق من إبراهيم سوى وثاقه(٤٣).

قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[الشعراء٨٨:٨٩]

يقول السعدي (فهذا الذي ينفعه عندك وهذا الذي ينجو به من العقاب ويستحق جزيل الثواب. القلب السليم معناه الذي سلم من الشرك والشك ومحبة الشر والإصرار على البدعة والذنوب، ويلزم من سلامته مما ذكر اتصافه بأضدادها من الإخلاص والعلم واليقين ومحبة الخير وتزيينه في قلبه وأن تكون إرادته ومحبته تابعة لمحبة الله وهواه تبعا لما جاء عن الله ثم ذكر صفاته الطيبة(٤٤).

قال الحافظ ابن كثير عليه رحمة الله (أي لا يتقي المرء من عذاب الله ما له ولو افتدى بملء الأرض ذهبا (ولا ينون) أي ولو افتدى بمن على الأرض جميعا ولا ينفع يومئذٍ إلا الإيمان بالله وإخلاص الدين له والتبريء من الشك وأهله ولهذا قال (إلا من أتى الله بقلب سليم) أن يعلم أن الله حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور، وقال بن عباس (إلا من أتى الله بقلبٍ سليم) حتى يشهد أن لا إله إلا الله. وقال مجاهد والحسن وغيرهما (بقلب سليم) يعني الشرك وقال سعد بن المسيب: القلب السليم هو القلب الصحيح وهو قلب المؤمن لأن قلب الكافر والمنافق مريض، قال تعالى (في قلوبهم مرض)، قال أبو عثمان النيسابوري: هو القلب السالم من البدعة المطمئن إلى السنة(٤٥).

وقد أنجي الله نبيه محمد ﷺ بعد أن أحدق المشركون حول الغار كما قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾[التوبة:٤٠]

يقول الحافظ ابن كثير عليه رحمة الله (أي تنصروا رسوله فإن الله ناصره ومؤيده وكافيه وحافظه كما تولى نصره (إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين) أي عام الهجرة لما هم المشركون بقتله أو حبسه أو نفيه فخرج منهم هاربا يصحبه صديقه وصاحبه أبي بكر بن أبي قحافة ، فلجأ إلى غار ثور ثلاثة أيام ليرجع الطلب الذين خرجوا في آثارهم، ثم يسيروا نحو المدينة فجعل أبوبكر يجزع أن يطلع عليهم أحد فيخلص إلى رسول الله ﷺ منهم أذى فجعل النبي يسكنه ويثبته

ويقول يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما[٤٦]. قال صفي الدين المباركفوري (وقد وصل المطاردون باب الغار ولكن الله غالب على أمره روى البخاري عليه رحمة الله عن أنس بن أبي بكر قال: (أسكت يا أبا بكر اثنين الله ثالثهما) وفي لفظ (ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما) [٤٧]. وقد كانت معجزة أكرم الله بها نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فقد رجع المطاردون حين لم يبق بينه وبينهم إلا خطوات معدودة[٤٨].

قال صاحب الرحيق المختوم (ولما انصرف رسول الله ﷺ عنهم وخاطبهم أبو جهل في كبريائه، وقال يا معشر قريش إن محمدا قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وشتم آلهتنا، وإني أعاهد الله لأجلسن له بحجر ما أطيق حمله، فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه فأسلموني عند ذلك أو أمنعوني، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم قالوا: والله لا نسلمك لشيء أبدا فأمضي لما تريد. فلما أصبح أبو جهل آخذ حجرا كما وصف ثم جلس رسول الله ﷺ ينتظره وغدا رسول اللهﷺ كما كان يغدوا فقام يصلي وقد غدت قريش فجلسوا في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل، فلما سجد رسول الله ﷺاحتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع منهزما ممتقعا لونه، مرعوبا قد يبست يداه على حجره حتى قذف الحجر من يده وقامت إليه رجال قريش فقالوا له مالك يا أبا الحكم؟

قال: قمت إليه لأفعلن به ما قلت لكم البارحة، فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل، لا والله ما رأيت مثل هامته، ولا مثل قصرته، ولا أنيابه لفحل قط فهم بي أن يأكلني. قال إسحاق: فذكر لي أن رسول الله ﷺ قال: ذلك جبريل عليه السلام لو دنا لأخذه)[٤٩].

إن الله عز وجل يثبت صاحب التوحيد في قبره عند سؤال الملكين له قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٧]

قال الحافظ بن كثير عليه رحمة الله قال الإمام أحمد (عن البراء بن عاذب قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكث به الأرض فرفع رأسه فقال (استعيذوا بالله من عذاب القبر) مرتين أو ثلاثة ثم قال: إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال على الآخرة نزل إليه ملائكة من

السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجئ إلى مغفرة من الله ورضوان – قال – فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يأخذها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها، يعني على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الطيبة فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا فيستفتحون له، فيفتح له يشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي بها إلى السماء السابع فيقول الله: أكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال: فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله، فيقولان له ما دينك، فيقول ديني الإسلام، فيقولان ما له هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول هو رسول الله، فيقولان له: ما علمك؟ فيقول: قرأن كتاب الله فآمنت به وصدقت، فينادي منادي من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا من الجنة) (٥٠).

قال تعالى :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾ [فصلت: ٣١]

قال السعدي عليه رحمة الله (يخبر تعالى عن أوليائه وفي ضمن ذلك تنشيطهم والحث على الاقتداء بهم فقال: (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) أي اعترفوا ونطقوا ورضوا بربوبية الله تعالى واستسلموا لأمره ثم استقاموا على الصراط المستقيم علما وعملا فلهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة (تتنزل عليهم الملائكة) الكرام أي يتكرر نزولهم عليهم مبشرين لهم عند الاحتضار (ألا تخافوا) على ما يستقبل من أمركم (ولا تحزنوا) على ما مضى فنفوا عنهم المكروه الماضي والمستقبل (وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) فإنها قد وجبت لهم وثبتت وكان وعد الله مفعولا ويقولون لهم مثبتين لهم ومبشرين (نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة) يحثونهم في الدنيا على الخير ويزينونه لهم ويرهبونهم عن الشر ويقبحونه في قلوبهم ويدعون الله لهم ويثبتونهم عن المصائب والمخاوف وخصوصا عند الموت وشدته والقبر وظلمته وفي القيامة وأهوالها وعلى الصراط وفي

الجنة يهنئونهم بكرامة ربهم ويدخلون عليهم من كل باب (سلام عليكم بما صبرتم فنعمى عقب الدار) ويقولون لهم أيضا (ولكم فيها) أي في الجنة (ما تشتهي أنفسكم) قد أعد وهيئ (ولكم فيها ما تدعون) أي تطلبون من كل مما تتعلق به إرادتكم وتطلبونه من أنواع اللذات والمشتهيات مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (٥١).

حدثني عمران قال: قال نبي الله ﷺ (يدخل من أمتي سبعون ألفا بغير حساب، قالوا ومن هم يا رسول الله؟ قال: هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون، فقام عكاشة فقال: أدع الله أن يجعلني منهم، قال: أنت منهم فقام رجل فقال: يا نبي الله أدع الله أن يجعلني منهم، قال سبقك بها عكاشة) (٥٢).

## من ثمرات التوحيد من مات عليه دخل الجنة:

إن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا لحديث عثمان عن عثمان رضي الله تعالى عنه قال، قال رسول الله ﷺ (من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة) (٥٣)، وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (من قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق وأن النار حق أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء) (٥٤).

عن جابر قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله ما الموجبتان؟ فقال: (من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار)، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من لقي الله لا يشرك به شيئا في النار وينالون شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم) (٥٥).

حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن الشعيرة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة) (٥٦)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ(لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل لكل نبي دعوته وإني أخبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله، من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا) (٥٧)

## المبحث الرابع

## أثر التوحيد على الفرد والجماعة

إن للتوحيد آثارا على الفرد والجماعة تظهر جليا في حياة الرعيل الأول – الصحابة – الذين تربوا على التوحيد في مدرسة النبوة فبدل التوحيد حياتهم من الرذيلة إلى الفضيلة ومن التفرق إلى الوحدة بل جعل التوحيد منهم أمة رائدة في الحكم والعدل والمساواة بعد أن كانوا رعاة شاه أصبحوا رعاة للأمم والشعوب، بل لم تشهد البشرية على تاريخها الطويل مثل تلك الفئة المؤمنة الموحدة التي أثر التوحيد فيها فخلق منها أمة ربانية مسالمة مستسلمة لأمر الله تعالى ومنقادة له. وهذا ما نجده من تأثير التوحيد على الفرد والجماعة في الآتي:

**أولا**: الاستجابة لأمر الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٤]

يقول الشيخ السعدي في هذه الآية (يأمر تعالى عبادة المؤمنين بما يقتضيه الإيمان منهم وهو الاستجابة لله ورسوله أي الانقياد لما أمر به والمبادرة إلى ذلك والدعوة إليه واجتناب ما نهينا عنه، وقوله تعالى (إذا دعاكم لما يحييكم) وصف ملازم لكل ما دعا الله ورسوله إليه وبيان لفائدته وحكمته فإن حياة القلب والروح بعبودية الله تعالى ولزوم طاعته وطاعة رسوله على الدوام، ثم حذر من عدم الاستجابة لله وللرسول فقال: (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) فإياكم أن تردوا أمرا لله أول ما يأتيكم فيحال بينكم وبينه وإذا رددتموه بعد ذلك[٥٨].

ولذلك نجد أن الصحابة كانوا يشربون الخمر في بدء أمر الدعوة الإسلامية فلما وقر التوحيد في نفوسهم ناداهم ربهم بصفة المؤمنين أن يجتنبوا الخمر فما كان منهم إلا أن أراقوها حتى سالت في شوارع المدينة، قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩١]

قال الحافظ بن كثير في تفسيره قالوا انتهينا ربنا وقال الناس يا رسول الله ناس قتلوا في سبيل الله وماتوا على فرشهم كانوا يشربون الخمر ويلعبون الميسر وقد جعله الله رجسا من عمل الشيطان(٥٩).

ومن أثر التوحيد في استجابة النساء المؤمنات أفرادا وجماعات في الالتزام بالحجاب الشرعي، قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٥٩]

قال ابن كثير خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهم الغربان من السكينة وعليهن أكسية سود يلبسنها(٦٠).

ومن آثار التوحيد الاستجابة لأوامر الله الداعية للفرد والجماعة بالمحافظة على أداء الصلوات الخمس في جماعة ، قال تعالى: ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٣٨]

قال الشيخ السعدي رحمه الله (يأمر بالمحافظة على الصلوات عموما وعلى صلاة العصر خصوصا والمحافظة على أداؤها بوقتها وشروطها وأركانها وجميع ما لها عن واجب ومستحب وبالمحافظة على الصلوات تحصل المحافظة على سائر العبادات. والعبادات أيضا كالصوم والحج والزكاة والعمرة والجهاد وبر الوالدين والإحسان إليهم ومعاملة الجيران والأهل والعشيرة والصدقة على الفقراء والمساكين وغيرها من أنواع العبادات التي يؤثر التوحيد في الأفراد والجماعة في الاستجابة لها والقيام بها لأنها حق الله تعالى.

ومن آثار التوحيد على الفرد والجماعة الثبات على المبدأ ولهذا قص الله تعالى لنا في كتابه الكريم أناس لم يكونوا رسل أو أنبياء وإنما كانوا أتباعا لهم فلما حققوا التوحيد هان عليهم كل شيء في سبيله كما قال ومحاورته لبني جنسه، قال تعالى :﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٢١ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٢ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ٢٣ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٤ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ٢٥﴾ [يس ٢٤: ٢٥] قال صاحب

زبدة التفسير (قيل: أنه خاطب بهذا الكلام قومه لما أرادوا قتله، تصلبا في الدين وتشددوا في الحق. فلما قال: هذا القول وصرح بالإيمان وثبوا عليه وقيل وطئوه بأرجلهم، قيل: حرقوه وقيل نشروه بالمنشار[٦١].

وهؤلاء جماعة من الفئة المؤمنة الموحدة يثبتون على مبادئهم التي تعلموها في ظل التوحيد كما يحكي لنا صاحب الرحيق المختوم عن أسرة عمار، فقال كان عمار بن ياسر مولى لبني مخزوم أسلم هو وأبوه وأمه فكان المشركون – على رأسهم أبو جهل – يخرجونهم إلى البطحاء إذا حميت الرمضاء فيعذبونهم بحرها ومر بهم النبي صلى الله عليه وسلم وهم يعذبون فقال: صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة، فمات ياسر في العذاب، وطعن أبو جهل سمية – أم عمار – في قلبها بحربة فماتت وهي أول شهيدة في الإسلام[٦٢].

وقد كان للتوحيد أثر واضح في الثبات على المبدأ كما حكى لنا الله تعالى عن خبر آسيا بنت مزاحم ، قال تعالى:﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التحريم: ١١]

قال الحافظ بن كثير (كانت امرأة فرعون تسأل من غلب؟ فيقال: غلب موسى وهارون فتقول آمنت برب موسى وهارون فأرسل إليها فرعون فقال أنظروا أعظم صخرة تجدونها فإن مضت على قولها فألقوها عليها وإن رجعت عن قولها فهي امرأتي فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء فأبصرت بيتها في الجنة فمضت على قولها وانتزعت روحها وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح[٦٣].

ومن أثر التوحيد على الفرد والجماعة المراقبة لله سبحانه وتعالى كما في حديث جبريل الطويل عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبته إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا قال: صدقت فعجبنا له يسأله ويصدقه قال: أخبرني عن الإيمان، قال تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال صدقت، قال فأخبرني عن

الإحسان، قال ما المسئول عنها أعلم من السائل قال فأخبرني عن أمارتها، قال أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العالة رعاة الشاة يتطاولون في البنيات، قال ثم انطلق فلبست مليا ثم قال لي: يا عمر أتدري من السائل قلت: الله ورسوله أعلم قال (فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم) (٦٤).

وكذلك من أثره على الفرد أيا كان ذكرا أم أنثى في المراقبة لله تعالى ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال أتى رجل من المسلمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد فناداه فقال: يا رسول الله إني زينت فأعرض عنه، فتنحى تلقاء وجهه فقال له يا رسول الله إني زينت فأعرض عنه حتى ثني ذلك أربع مرات فلما شهد على نفسه أربع شهادات دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أبك جنون قال لا، قال فهل أحصنت، قال نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أذهبوا به فأرجموه) (٦٥).

وكذلك أيضا عن عمران بن حصين أن امرأة من جهينة أتت النبي صلى الله عليه وسلم هي حبلى من الزنا فقالت يا نبي الله أصبت حدا فأقمه عليَّ فدعا نبي الله وليها فقال: أحسن إليها فإذا وضعت فأتني بها ففعل فأمر بها نبي الله صلى الله عليه وسلم فشكت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها فقال: ابن عمر تصلي عليها يا نبي الله وقد زنت فقال: لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى (٦٦).

ومن أثر التوحيد على الفرد والجماعة القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث أن الأمة شريكة لنبيها صلى الله عليه وسلم في وظيفة الدعوة إلى الله، قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣] وأن أفضلية هذه الأمة وخيرتها بالقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى : ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [آل عمران:١١]

يقول الإمام السعدي عليه رحمة الله (يمدح الله هذه الأمة ويخبر أنها خير أمة أخرجها الله للناس وذلك بتمليكهم لأنفسهم بالإيمان المستلزم للقيام بكل ما أمر الله به وبتمليكهم لغيرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المتضمن دعوة الخلق إلى الله وجهادهم على ذلك وبذل المستطاع في ردهم عن ضلالهم وغيهم وعصيانهم فبهذا كانوا خير أمة أخرجت للناس) (٦٧)، وقد جعل الله المؤمنين

والمؤمنات شركاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال جل جلاله : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١]

يقول صاحب زبدة التفسير: أي قلوبهم متحدة في التوادد والتراحم والتعاطف بسبب ما جمعهم من أمر الدين وضمهم من الإيمان بالله (يأمرون بالمعروف) أي بما هو معروف في الشرع غير المنكر ومن ذلك توحيد الله سبحانه وتعالى وترك عبادة غيره (وينهون عن المنكر) أي عما هو منكر في الدين (٦٨).

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ أحد من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجو ونجوا جميعا) (٦٩).

وهكذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنما هو أثر من آثار استقرار التوحيد في القلب الذي يدفع الإنسان بالقيام بالدعوة إلى الله والصبر عليها. فإن من أثر التوحيد على الفرد والجماعة إقامة الحاكمية لله سبحانه وتعالى فهو الذي يشرع لعباده دونهم وهو الذي يضع لهم المنهج الذي يسيرون عليه في حياتهم . قال تعالى :﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤] و قال تعالى :﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٤٠]

يقول الحافظ ابن كثير عليه رحمة الله (إن الحكم والتصرف والمشيئة والملك كله لله وقد أمر عباده قاطبة أن لا يعبدوا إلا إياه ثم قال تعالى (ذلك الدين القيم) أي هذا الذي أدعوكم إليه من توحيد الله وإخلاص العمل له هو الدين المستقيم الذي أمر الله به وأنزل به الحجة والبرهان الذي يحبه ويرضاه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أي فلهذا كان أكثرهم مشركين (٧٠).

وقد وصف الله الذين لا يحكمون شرعه بالكفر والفسوق والظلم. قال تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤]

وقال تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٥]

وقال تعالى : ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٧]

يقول السعدي عليه رحمة الله (من الحق المبين وحكم بالباطل الذي يعلمه لغرض من أغراضه الفاسدة (فأولئك هم الكافرون) فالحكم بغير ما أنزل الله من أعمال أهل الكفر وقد يكون كفرا ينقل صاحبه عن الملة وذلك إذا اعتقد حله وجوازه وقد يكون كبيرة من كبائر الذنوب ومن أعمال الكفر قد استحقه من فعله العذاب الشديد[٧١].

وقد نفى الله الإيمان عمن لم يحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل شيء ، قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [ سورة النساء: ٦٥]

يقول الحافظ بن كثير عليه رحمة الله (يقسم الله تعالى بنفسه أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول في جميع الأمور فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنا وظاهرا ولهذا قال (ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا) أي إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدوا في أنفسهم حرجا مما حكمت به وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلموا لذلك تسليما كليا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة[٧٢].

ومن أثر التوحيد على الفرد والجماعة التخلق بالأخلاق الفاضلة التي مدح الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤]

فإن للتوحيد أثره على أخلاق الفرد والجماعة ينقله من الشدة إلى المرونة ومن العنف إلى الرحمة ومن الاستبداد إلى المشاورة كما أثنى الله على نبيه صلى الله عليه وسلم في كتابه فقال تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]

يقول السعدي عليه رحمة الله (أي برحمة الله لك ولأصحابك من الله عليك أن ألنت لهم جانبك وخفضت لهم جناحك وترققت عليهم وحسنت لهم خلقك فاجتمعوا عليك وأحبوك وامتثلوا لأمرك (ولو كنت فظا) أي سيء الخلق (غليظ القلب) أي قاسية (لانفضوا من حولك) لأن هذا ينفرهم ويبغضهم في هذا الخلق السيء، فالأخلاق الحسنة من الرئيس في الدين يجذب الناس إلى الدين ويرغبهم فيه مع ما لصاحبه من المدح والثواب الخاص والأخلاق السيئة من الرئيس تنفر الناس عن الدين وتبغضهم إليه معه ما لصاحبها من الذم والعقاب الخاص فهذا الرسول المعصوم يقول الله له ما يقول فكيف يغيره)[٧٣].

ومن أثر التوحيد على الفرد والجماعة تحقيق كمال التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب قال تعالى لنبيه محمد ﷺ ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٨] وهذا التوكل سجية من سجايا الموحدين قال تعالى :﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢]

قال الحافظ بن كثير عليه رحمة الله قال: المنافقون لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه ولا يؤمنون بشيء من آيات الله ولا يتوكلون ولا يصلون إذا غابوا ولا يؤدون زكاة أموالهم فأخبر الله أنهم ليسوا بمؤمنين ثم وصف الله

المؤمنين فقال ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ فأدوا فرائضه ﴿وإذا تليت عليهم آياته﴾ زادتهم تصديقا ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ لا يرجون غيره[٧٤].

كما جاء في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج علينا النبي ﷺ يوما فقال: (عرضت على الأمم فجعل يمر النبي معه الرجل والنبي ومعه رجلان والنبي ومعه الرهط والنبي وليس معه أحد ورأيت سوادا عظيما كثيرا سد الأفق فرجوت أن تكون أمتي فقيل هذا موسى وقومه ثم قيل لي أنظر فرأيت سوادا كثيرا سد الأفق فقيل أنظر هكذا وهكذا فرأيت سوادا كثيرا سد الأفق فقيل هؤلاء أمتك ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب، فتفرق الناس ولم يبين لهم فتذاكر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: أما نحن فولدنا في الشرك ولكنا آمنا بالله ورسوله ولكن هؤلاء أبناؤنا فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: هم الذين لا يتطيرون ولا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون، فقام عكاشة بن محصن فقال: أمنهم أنا يا رسول الله فقال نعم، فقام آخر فقال أمنهم أنا؟ فقال سبقك بها عكاشة[٧٥].

ولذلك نجد أثر للتوحيد مع كمال التوكل يدعو إلى الأخذ بالأسباب كما قال صاحب كتاب منهاج المسلم في الهجرة النبوية من الأخذ بالأسباب إحضار رفيق من خيرة الرفقاء ألا وهو صاحبه أبوبكر الصديق وإعداد زاد السفر من طعام وشراب ربطته أسماء بنت أبي بكر بنطاقها حتى لقبت بذات النطاقين وإحضار خريت عالم بمسالك الطريق ودروبها الوعرة ليكون دليلا وهاديا في هذه الرحلة[٧٦].

وهذا رسولنا الكريم يروي لنا عنه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار وقالها محمد ﷺ ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] إن من أثر التوحيد على الفرد والجماعة الصدق وهو خلق حميد أمر الله به المؤمنين أن يتخلقوا به فقال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾[٧٧]، يقول السعدي عليه رحمة الله ﴿بالله وبما أمر الله وبالإيمان به قوموا بما يقتضيه الإيمان وهو القيام بتقوى الله تعالى باجتناب ما نهى الله عنه والبعد عنه ﴿وكونوا مع الصادقين﴾ في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، الذين أقوالهم صدق وأعمالهم وأحوالهم لا تكون إلا صدقا خلية من الكسل

والفتور سالمة من المقاصد السيئة مشتملة على الإخلاص والنية الصالحة فإن الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة) (٧٨).

وهذا رسولنا الكريم ﷺ يحثنا على أن تخلق بخلق الصدق، عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إن الصدق يهدي إلى البر وأن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقا وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا)

ومن أثر التوحيد على الفرد والجماعة الخوف من الله تعالى قال جل جلاله : ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج:١٢]

وكذلك قوله سبحانه : ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران:٢٨]

ويقول تعالى ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الطور ٢٥:٢٧]

وقال تعالى : ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران:٢٨]

يقول الحافظ بن كثير عليه رحمة الله (أي أقبلوا يتحادثون ويتساءلون عن أعمالهم وأحوالهم في الدنيا وهذا كما يتحدث أهل الشراب على شرابهم إذا أخذ فيهم الشراب بما كان من أمرهم (قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين) أي كنا في دار الدنيا ونحن بين أهلنا خائفين من ربنا مشفقين من عذابه وعقابه (فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم) أي فتصدق علينا وأجارنا مما نخاف (إنا كنا من قبل ندعوه) أي نتضرع إليه فاستجاب لنا وأعطانا سؤالنا إنه هو البر الرحيم) (٧٩).

إن الخوف من الله من أعظم المقومات ولا يخاف الإنسان من الله إلا إذا وحده وعرفه كما قال النبي ﷺ في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا الصادق المصدوق قال: إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع كلمات

ويقال له أكتب عمله ورزقه وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا زراع فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا زراع فيسبق عليه الكتاب يعمل بعمل أهل الجنة) (٨٠).

إن من أثر التوحيد على الفرد والجماعة العفو مع المقدرة وهذا ما ضربه لنا النبي ﷺ مع خصومه الذين ناصبوه العداء كأهل الطائف عن عروة أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثني أنها قالت للنبي ﷺ هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: (لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم استفق إلا وأنا مهموم على وجهي فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعثت إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلم عليّ ثم قال: يا محمد فقال ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال ﷺ (بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا). وفي هذا الجواب الذي أدلى به رسول ﷺ تتجلى شخصيته الفذة وما كان عليه من الخلق العظيم لا يدرك غوره.

ومع خصومه كأهل مكة الذين حاولوا مرارا وتكرارا لاغتياله وهجروه من بلده ومنعوه من دخول مكة وأداء الصلاة في المسجد الحرام، فلما تم الله الدين وأظهره أمره ودانت له جزيرة العرب وجاء فاتحا لمكة بعشرة ألف موحد يهللون ويكبرون وهدم الأصنام والمشركون ينظرون إليه ﷺ كما صور لنا هذا الحدث صاحب كتاب فقه السيرة يقول (أمر رسول الله ﷺ بلالا فصعد فوق ظهر الكعبة فأذن للصلاة وأقبل الناس كلهم يدخلون في دين الله أفواجا وأمسك النبي ﷺ بعضادتي باب الكعبة وقد اجتمع الناس من حوله ما يعلمون ماذا يفعل بهم فخطب فيهم قائلا (لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ألا كل مأثره أو دم أو مال يدعي فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج، يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب وتلا قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات:١٣]

ثم قال: يا معشر قريش ما ترون إني فاعل بكم؟ قالوا خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم فقال اذهبوا فأنتم الطلقاء (٨١).

فهذه إشارات من أثر التوحيد على الفرد والجماعة وإلا فإن حياة المسلم كلها مرتبطة بالغاية التي خلق من أجلها وهي توحيد الله سبحانه وتعالى وعبادته ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وهذا غيض من فيض من آثار التوحيد على الفرد والجماعة. ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ [المدثر ١: ٢]

فقام وظل قائما أكثر من عشرين عاما يحمل عبء الأمانة الكبرى في هذه الأرض، عبء البشرية كلها عبء العقيدة كلها عبء الكفاح والجهاد وفي ميادين شتى حمل عبء الكفاح والجهاد في ميادين الضمير البشري الغارق في أوهام الجاهلية وتصوراتها المثقل بأثقال وجواذبها المكيل بأوهاق الشهوات وإعلالها حتى إذا خلص الضمير في بعض صحابته مما يثقله من ركام الجاهلية والحياة الأرضية وفي أثناء هذا كله لم تكن المعركة الأولى – معركة الضمير قد انتهت فهي معركة خالدة، الشيطان صاحبها وهو لا يلين لحظة عن مزاولة نشاطه في أعماق الضمير الإنساني، ومحمد ﷺ قائم على دعوة الله هناك وعلى المعركة الدائبة في ميادينها المتفرقة في شظف العيش والدنيا مقبلة عليه ومن جهد وكد والمؤمنون يستريحون من حوله في ظلال الأمن والراحة في نصب دائم لا ينقطع وفي صبر جميل على هذا كله وفي قيام الليل وفي عبادة لربه وترتيل لقرآنه وتبتل إليه حتى نجحت الدعوة الإسلامية على نطاق واسع تتحير له العقول فقد دانت لها الجزيرة العربية وزالت غبرة الجاهلية عن آفاقها وصحت العقول العليلة حتى تركت الأصنام بل كسرت أخذ الجو يرتج بأصوات التوحيد وسمع الآذان للصلوات الخمس يشق أجواء الفضاء خلال الصحراء التي أحياها الإيمان الجديد وانطلق القراء شمالا وجنوبا يتلون آيات الله ويقيمون أحكام الله. توحدت الشعوب والقبائل المتناثرة وخرج الإنسان من عبادة العباد إلى عبادة الله فليس هنالك قاهر ومقهور وسادات وعبيد وحكام ومحكومون وظالم ومظلوم وإنما الناس كلهم عباد الله إخوان متحابون ممتثلون لأحكامه، أذهب الله عنهم عيبة الجاهلية ونخوتها وتعاظمها بالآباء ولم يبق هناك فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى الناس كلهم بنو آدم وآدم من تراب، فتقلب مجرى الأيام وتغير مجرى وجه الأرض وانعدل خط التاريخ تبدلت العقلية.

**إن العالم كانت تسيطر عليه روح الجاهلية – قبل هذه الدعوة – وتختل فيه القيم والمقاييس ويسوده الظلم والعبودية وتجتاحه موجة من الترف الفاجر والحرمان التاعس، وتغشاه غائية الكفر والضلال والظلم على الرغم من الديانات السماوية التي كانت قد أدركها التحريف وسرى فيها الضعف وفقدت سيطرتها على النفوس واستحالت طقوس جامدة لا حياة ولا روح.**

**فلما قامت هذه الدعوة بدورها في حياة البشرية خلصت روح البشر من الوهم والخرافة ومن العبودية والرق ومن الفساد والتعفن ومن القذارة والانحلال وخلصت المجتمع الإنساني من الظلم والطغيان ومن التفكك والانهيار ومن فوارق الطبقات واستبداد الحكام واستزلال الكهان. وقامت ببناء العالم على أسس من الفقه والنظافة والإيجابية والبناء والحرية والتجدد ومن المعرفة واليقين والثقة والإيمان والعدالة والكرامة ومن العمل الدائب لتنمية الحياة وترقية الحياة وإعطاء كل ذي حق حقه في الحياة.**

## الخاتمـــــة

أحمد الله سبحانه وتعالى وأشكره على إعانته وتوفيقه وأسبح من بنعمته تتم الصالحات، الذى أسبق علينا نعمه ظاهرة وباطنة، ووفقني إلى إنجاز هذه الورقة والتي من خلالها استطعت دراسة التوحيد وأثره على حياة الفرد والمجتمع فقد أكدت هذه الدراسة على أهمية دراسة التوحيد وبيان أثره على تنمية المجتمع، ومن أهم آثار التوحيد تظهر في الآتي:

١. التأكيد على أهمية دراسة التوحيد وضرورة الاعتناء بمعنى الإيمان، وتحرير مسائل الإيمان بعلم وعدل.

٢. دراسة معنى الإيمان، لا تنفك عن دراسة مقابله الكفر.

٣. التوحيد هو الفرض الأعظم على جميع البشر.

٤. من أهم آثار الإيمان على حياة الفرد الاستجابة لله تعالى ولرسوله ﷺ وقد تم بيان كيفية استجابة المؤمنون الأوائل إلى أوامر الله عز وجل وأوامر رسوله ﷺ، فكتب الله لهم النصر على أعدائهم، ومكن لهم دينهم.

٥. من ثمرات هذا التوحيد خير الدنيا والأخرة وكذلك مغفرة الذنوب وتكفيرها.

٦. التوحيد هو حقيقة دين الإسلام.

من أهم التوصيات:

١. تعميق الدراسات وتركيزها حول مسائل العقيدة.

٢. الاهتمام بدراسة ظاهرة التكفير والخروج عن إمرة ولاة الأمور.

٣. دراسة مفهوم الإيمان بتعمق وتأني عند الفرق الإسلامية المختلفة.

في نهاية الورقة أوصي بدراسة مفهوم التوحيد بصورة عميقة، حتى يمكن الرد على كل الأفكار المنحرفة والضالة.

## الحواشي السلفلية

(١) نديم مرغشلي وأسامة مرغشلي.

(٢) نديم مرغشلي وأسامة مرغشلي، الصحاح في اللغة والعلوم، تجديد صحاح العلامة الجوهر، دار الحضارة العربية بيروت، ص٦٦٩.

(٣) العلامة الشيخ محمد جمال الدين القاسمي، ولد عام ١٢٨٣هـ وتوفي ١٣٣٢هـ دفن في مقبرة الباب الصغير بدمشق.

(٤) الشيخ محمد جمال الدين القاسمي، دلائل التوحيد، المطبعة دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩١م، ص٤٧-٤٨.

(٥) دلائل التوحيد، مصدر سابق، ص٤٩.

(٦) هو الحافظ المحدث الفقيه المجتهد الثقة الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ، ولد عام ١٢٠٠هـ، وتوفي عام ١٢٣٣هـ.

عقيدة التوحيد، الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان، الرياض، ص١٦.

(٧) الشيخ سليمان بن عبد الله، تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، المطبعة المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الخامسة، ص٣٢-٣٣.

(٨) هو الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية.

(٩) عقيدة التوحيد، الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان، الرياض، ص١٦.

(١٠) مصرع الشرك والخرافة، مطبوعات إدارة الشئون الدينية القطرية، ١٩٧٨م، مطابع الدوحة الحديثة، الدوحة – قطر.

(١١) مصرع الشرك والخرافة، مصدر سابق، ص٢٥-٢٦.

(١٢) دلائل التوحيد، مصدر سابق، ص١٢-١٣.

(١٣) دلائل التوحيد، مصدر سابق، ص١٢-١٣.

(١٤) الحافظ عماد الدين بن عمر بن كثير بن درع، ولد بدمشق ٧٠١هـ، مات ٢٦ شعبان ٧٧٤هـ، يوم الخميس ودفن في مقبرة الصوفية.

(١٥) تفسير بن كثير، للحافظ بن كثير، المجلد الثالث، مطبعة مؤسسة الريان، الطبعة الخامسة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ص٥٩.

(١٦) تفسير بن كثير، المجلد الثالث، مصدر سابق، ص٢٨١.

(١٧) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري.

(١٨) مختصر صحيح الإمام البخاري، الألباني، الطبعة الأولى ١٣٩٩، بيروت المكتب الإسلامي، ص٢٦٥.

(١٩) هو الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري.

(٢٠) مختصر صحيح الإمام مسلم للحافظ المنذري، الجزء الأول، باب من سجد لله فله الجنة، الطبعة الثالثة ١٩٧٧م، المكتب الإسلامي، دمشق، ص١٠٢.

(٢١) تفسير بن كثير، المجلد الثالث، مصدر سابق، ص٣٩٤.

(٢٢) تفسير بن كثير، المجلد الثاني، ص٣٤٧.

(٢٣) مختصر صحيح البخاري، مصدر سابق، ص٣٠٧.

(٢٤) مختصر صحيح مسلم، مصدر سابق، ص٢٢٤.

(٢٥) تفسير ابن كثير، المجلد الرابع، مصدر سابق، ص٣٠٢.

(٢٦) مصرع الشرك والخرافة، مصدر سابق، ص .

(٢٧) تفسير ابن كثير، المجلد الرابع، مصدر سابق، ص٥٤٧.

(٢٨) تفسير بن كثير، المجلد الثاني، مصدر سابق، ص١٩٩.

(٢٩) مصرع الشرك والخرافة، مصدر سابق، ص٢٥.

(٣٠) تيسير العزيز الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، ص٢٦٣.

(٣١) تفسير ابن كثير، المجلد الثاني، مصدر سابق، ص٢٠٧.

(٣٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، مصدر سابق، ص٣٨.

(٣٣) زبدة التفسير، مصدر سابق، ص١٦٣.

(٣٤) تفسير بن كثير، المجلد الثاني، مصدر سابق، ص٧٦٢.

(٣٥) تيسير العزيز الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، ص٩٣٥.

(٣٦) زبدة التفسير، مصدر سابق، ص٣٥٧.

(٣٧) مختصر صحيح البخاري، كتاب الإيمان، مصدر سابق، ص١٧.

(٣٨) مختصر صحيح البخاري، كتاب العلم، مصدر سابق، ص٤٣.

(٣٩) مختصر صحيح البخاري، كتاب العلم، مصدر سابق، ص٣٦

(٤٠) تفسير ابن كثير، المجلد الرابع، مصدر سابق، ص٥٤٦.

(٤١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، ص٤١٨.

(٤٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان مصدر سابق، ص٢٩٣.

(٤٣) تفسير ابن الكثير، المجلد الثالث، مصدر سابق، ص٢٤٥-٢٤٦.

(٤٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، ص٥٩٣.

(٤٥) تفسير ابن كثير، المجلد الثالث، مصدر سابق، ص٤٤٨-٤٤٩.

(٤٦) تفسير ابن كثير، المجلد الثاني، مصدر سابق، ص٤٧١.

(٤٧) صحيح البخاري، المجلد الثاني، مصدر سابق، ص٤٣٤.

(٤٨) الرحيق المختوم، مصدر سابق، ص١٨٦.

(٤٩) الرحيق المختوم، مصدر سابق، ص١٢٩.

(٥٠) تفسير ابن كثير، المجلد الثاني، مصدر سابق، ص٦٩١.

(٥١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، ص٧٤٨-٧٤٩.

(٥٢) صحيح مسلم، المجلد الأول، مصدر سابق، ص١٢٥.

(٥٣) صحيح مسلم، المجلد الأول، مصدر سابق، ص٢٦.

(٥٤) صحيح مسلم، المجلد الأول، مصدر سابق، ص٢٧.

(٥٥) صحيح مسلم، المجلد الأول، مصدر سابق، ص٥٣.

(٥٦) صحيح مسلم، المجلد الأول، مصدر سابق، ص١١٣.

(٥٧) صحيح مسلم، المجلد الأول، مصدر سابق، ص١١٨.

(٥٨) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، ص٣١٨.

(٥٩) تفسير ابن كثير، المجلد الثالث، مصدر سابق، ص١٢٨.

(٦٠) تفسير ابن كثير، المجلد الثالث، مصدر سابق، ص٦٧٨.

(٦١) زبدة التفسير، مصدر سابق، ص٤٤١.

(٦٢) الرحيق المختوم، مصدر سابق، ص١٠٧.

(٦٣) تفسير ابن كثير، المجلد الرابع، مصدر سابق، ص٥٠٥.

(٦٤) صحيح مسلم، المجلد الأول، مصدر سابق، ص١٤.

(٦٥) صحيح مسلم، المجلد الثاني، مصدر سابق، ص٢٠٠.

(٦٦) صحيح مسلم، المجلد الثاني، مصدر سابق، ص٢٠٣.

(٦٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، ص١٤٣.

(٦٨) زبدة التفسير، مصدر سابق، ص١٩٨.

(٦٩) صحيح البخاري، المجلد الأول، مصدر سابق، ص٥٤٧.

(٧٠) تفسير ابن كثير، المجلد الثاني، مصدر سابق، ص٦٢٣.

(٧١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، ص٢٣٣.

(٧٢) تفسير ابن كثير، المجلد الثاني، مصدر سابق، ص٦٧٩-٦٨٠.

(٧٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، ص١٥٤.

(٧٤) صحيح البخاري، المجلد الثالث، مصدر سابق، ص٨٨.

(٧٥) منهاج المسلم، مصدر سابق، ص١٧٢.

(٧٦) صحيح البخاري، المجلد الثاني، مصدر سابق، ص٤٠٦.

(٧٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، ص٣٥٥.

(٧٨) صحيح البخاري، المجلد الثاني، مصدر سابق، ص١٥٧.

(٧٩) صحيح البخاري، المجلد الثاني، مصدر سابق، ص١١٢.

(٨٠) فقه السيرة، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، المطبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، طبعة جديدة، ١٩٩٠م، ص٥٧.

(٨١) صحيح البخاري، المجلد الثاني، مصدر سابق، ص١١٢.

## المصادر والمراجع

- الألباني: مختصر صحيح الإمام البخاري، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ، بيروت، المكتب الإسلامي.
- الحافظ المنذري: مختصر صحيح الإمام مسلم، الجزء الأول، باب من سجد لله فله الجنة، الطبعة الثالثة ١٩٧٧م، المكتب الإسلامي، دمشق.
- الحافظ بن كثير: تفسير بن كثير،، المجلد الثالث، مطبعة مؤسسة الريان، الطبعة الخامسة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: فقه السيرة،، المطبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، طبعة جديدة، ١٩٩٠م.
- الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان: عقيدة التوحيد،، الرياض.
- الشيخ سليمان بن عبد الله: تيسير العزيز الحميد،، الطبعة الخامسة، المكتب الإسلامي، بيروت.
- الشيخ سليمان بن عبد الله، تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، المطبعة المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الخامسة.
- الشيخ محمد جمال الدين القاسمي، دلائل التوحيد، المطبعة دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩١م.
- المواهبي الحنبلي: كتاب العين والأثر، مطبعة دار المأمون، دمشق.
- مصرع الشرك والخرافة، مطبوعات إدارة الشئون الدينية القطرية، ١٩٧٨م، مطابع الدوحة الحديثة، الدوحة – قطر.
- نديم مرغشلي وأسامة مرغشلي، الصحاح في اللغة والعلوم، تجديد صحاح العلامة الجوهر، دار الحضارة العربية بيروت